من تراب الطريق (٣٢٧) فوبيا أنفلونزا الخنازير![*]

أخطر ما استشرى الآن فى بلادنا ، فوبيا أنفلونزا الخنازير .. فبعد أن ألقت بظلالها على الحج والعمرة ، وعلى الموالد وموائد الرحمن ، طفقت تدك معاقل المدارس العامة والخاصة ، المصرية والأجنبية ، وتشيع تخبطًا امتد إلى إرجاء الدراسة ذاتها ، وإلى أسلوب التعامل مع أتفه العوارض بمنطق هذه الفوبيا الذى أثار الذعر بين أولادنا وبناتنا ، وطفق يعكس آثاره على المجتمع بأسره !

العجيب أنه مع هذه الفوبيا التى جعلت تعطل كل شىء ، وتنشر الاضطراب والبلبلة فى كل مجال ، أن قنواتنا الإعلامية المقروءة والمرئية والمسموعة ـ تكاد تخلو تماما من تعريف علمى مبسط بأعراض الحالة ، والخطوات الصحيحة الواجب اتخاذها لمواجهة المرض إلى أن يتم تحديده والتعامل معه ، إمّا بالعلاج الواجب إن صح التشخيص ، أو باستبعاد الظن الذى سارع إلى الناس بفعل الفوبيا التى هزت وأصابت حياتنا !

تورى هذه الحالة ، بوجود «فصام» لم يتأمله أو يلتفت إليه أحد ، بين وزاراتنا وأجهزتنا ومراكزنا ومستشفياتنا المهتمة بالصحة العامة ، وبين أدوات الإنباء والإخبار التى انصرفت هى الأخرى عما يجب إلى ما يثير ..

(*) المال ١٤/٩/٢٠٠٩

ظنى أن الإثارة قد صارت فى مقدمة اهتمامات الإلقاء والاستقبال !!

من الغريب أننا فقدنا الوعى الذى كان منذ أكثر من ستين عاما .. لا زلت أذكر ، وكنا أيامها أطفالًا ، كيف تعاملت مصر وكافة أجهزتها وإداراتها ومرافقها مع الكوليرا التى اجتاحت البلاد فى النصف الثانى من أربعينيات القرن الماضى !

يبدو أننا جميعا شخنا .. وأسوأ ما فى هذه الشيخوخة أنها وقعت أسيرة لنحر الزمن من قوة وأداء أعضاء الجسد ، وفقدت ـ وهذا أسوأ ـ ما تضيفه الشيخوخة من تجارب وخبرات وحكمة السنين والأعمار !

ماذا حدث لنا حتى بات التراجع هو السمت الغالب فى كل شىء .. أليست أنفلونزا الخنازير مرضًا ، وأليس لهذا المرض أعراض ، وأليست لهذه الأعراض علامات تشتبه أحيانا بأعراض أمراض أخرى ، مما يوجب التنبيه ولفت الأنظار إلى العرض الحقيقى ـ لا الخادع ـ الدال على مقدمات المرض ؟! وأليس التعامل مع المقدمات ، يستوجب التسلح بالمعرفة مع الفهم والاتزان وحسن التصرف ، وإعداد المراكز والمستشفيات للاستقبال وفرز العرض الحقيقى من المتشابهات التى قد تنجم وتتفاقم من ذات حالة الفوبيا التى صورها لنا إعلام الإثارة أنها كالطاعون ـ الذى أخافونا به قبل أن نكتشف أنه محض مخاوف سبق فيها الظن وحل محل الفعل وامتزج برغبات الإثارة التى بدا وكأنها مستهدفة لذاتها أو لمآرب أخرى كما قال موسى عليه السلام عن عصاه التى كان يهش بها على غنمه ، وله فيها مآرب أخرى !

لم تتعامل مصر الدولة تعاملًا حضاريا ، لا مع أنفلونزا الطيور ، ولا مع أنفلونزا الخنازير ، وبدا لى أحيانا أنهما صارا للبعض كطوق النجاة الذى يصرف عن أشياء يرون أنه يلزم صرف الأنظار وتلهيتها عنها !

قالوا سلفا إن أم كلثوم ، وحُمَّى كرة القدم ، كانا السبيل لتلهية الشعب عن الأزمات والبلايا .. وقد رحلت كوكب الشرق ، وحلت فرجة شاشات التليفزيون محمل ارتياد الملاعب ، فتغيرت حُمّى التجمعات التى صار تفاديها أحد ثوابت السياسة الأمنية فى بَر مصر !

ألا تستدعى أنفلونزا الخنازير ، تعاملًا عاقلًا عارفًا ، يزن الأمور ، ويطرح سبل المواجهة من خلال سياسة صحية إدارية تكفل سلامة التشخيص بلا فوبيا أو ذعر أو فزع ، وتهيىء أسباب العلاج فى ثقة وكفاءة ترد للمواطنين ولفلذاتنا بالمدارس الطمأنينة وتعيد الأمان الذى فقدوه مع شيوع المخاوف وتراجع العقل والاتزان؟!

*****